**د/ إبراهيم أبراش**

 **اجتياح رفح مبررات أمنية وأهداف استراتيجية-**

 **باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية ،فقد اتفقت غالبية ردود أفعال دول العالم بما في ذلك منظمة العفو الدولية على توصيف ما جرى في رفح كإرهاب دولة وجرائم حرب ضد الإنسانية ..إلا أن التفسيرات والتحليلات تباينت حول الأهداف الإسرائيلية من وراء ذلك.لا شك أن ما جرى في رفح هو تواصل لسياسة إرهابية تقوم بها حكومة شارون وقامت بها كل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة،فشبيه لما جرى في رفح عرفته جنين ونابلس وبيت حانون وحي الزيتون في غزة ،صحيح أن جريمة رفح أكثر بشاعة ،إلا أن الجديد في هذه الجريمة ليس بعدها الإنساني بالرغم من المعاناة الرهيبة لأهلنا في رفح،بل إن ما يثير التساؤلات هو البعد الجيوسياسي و الأمني.فرفح بوابة فلسطين ومنفذ قطاع غزة الوحيد على العالم الخارجي ،وان تحدث الجرائم في هذا المنفذ الوحيد في ظل حديث مكثف عن انسحاب إسرائيلي من القطاع ومنح دور لمصر في أي ترتيبات أمنية وسياسية قادمة في القطاع على حساب السيادة الفلسطينية،هذا هو مصدر القلق.
لقد بررت إسرائيل أعمالها الإجرامية في رفح بمبررات أمنية وتحديدا وجود أنفاق ما بين رفح والجانب المصري، من خلالها تُهرب بضائع وسلع وأحيانا أسلحة للمقاتلين الفلسطينيين ،وحتى لا نجافي الحقيقة ولا يكون خطابنا الإعلامي والسياسي ساذجا يجب عدم الرد على إسرائيل بالقول انه لا توجد أنفاق ،فالأنفاق موجودة ،ولذا يجب أن يكون الرد بالقول أن كل الحدود بين دول العالم تعرف عمليات تهريب بأشكال متعددة،ولا يكون الرد على هذه العمليات بتدمير المدن الحدودية . وحتى لو أفتر ضنا وجود تهريب للأسلحة فالرد يجب أن يركز على أن من حق الشعب الخاضع للاحتلال أن يحصل على الأسلحة من أي مصدر يريد ،وان يتمكن فلسطينيون من تهريب أسلحة للمجاهدين في القطاع فهذه ليست جريمة ،فقد سبق وان هربوا أسلحة من داخل إسرائيل بل اشتروا أسلحة جنود إسرائيليين ، الجريمة هي أن توظف إسرائيل مزاعم وجود أنفاق أو وجودها بالفعل لتقوم بجرائم حرب وممارسات تهديم وتهجير لا علاقة لها بالأنفاق بل تدخل ضمن مخطط سياسي أكثر خطورة وشمولية ،وهو ما جرى أيضا في الضفة مع الجدار العازل حيث وظفت إسرائيل ذات المزاعم الأمنية لتقوم بسرقة الأرض وتهيئة الطريق لمخطط سياسي خطير يتم من خلاله تهويد غالبية الضفة الغربية .
البعد الأمني قد يكون موجودا ولكن الخطورة تكمن في البعد السياسي ،إسرائيل تهدف من خلال عملياتها في رفح إلى تحقيق عدة أهداف استراتيجية مرتبطة بمخطط شارون للفصل أحادي الجانب عن الفلسطينيين ،ويمكن تلخيص هذه الأهداف بما يلي :-
أولا: نقل المعركة السياسية والعسكرية من الضفة إلى قطاع عزة ،أو بمعنى آخر لفت الأنظار عن الضفة والقدس،وهذه استراتيجية ثابتة عند إسرائيل والأساس غير المعلن الذي قبلت بموجبه بمسلسل التسوية . فبعد أن اعتقدت أن الفلسطينيين والعرب نسوا فلسطين المحتلة عام 48 عندما اشغلوا بالحديث عن تسوية على أساس 242 ومدريد وأسلو،خلقت أمرا واقعا جديدا داخل مناطق السلطة عندما قسمتها إلى مناطق أ و ب و ج ،ثم استغلت الخلافات بينها وبين السلطة على الانسحابات والصلاحيات داخل هذه المناطق بالإضافة إلى الخلافات الفلسطينية الداخلية لتفرض على الفلسطينيين اتفاقات جديدة أكثر سوءا من اوسلو ،ثم جاءت زيارة شارون الاستفزازية للمسجد الأقصى لتندلع الانتفاضة وما صاحبها من مظاهر مسلحة، الأمر الذي أدى إلى اجتياح الضفة وبناء الجدار العازل ،وعندما أنشغل الفلسطينيون بمعركة الجدار وبحصار الرئيس وانشغل العرب بالعدوان على العراق ،قامت حليفتها أمريكا بوضع خارطة الطريق ،وحتى تتهرب من التزاماتها بخارطة الطريق التي تفرض عليها الانسحاب من غالبية الضفة نقلت إسرائيل المعركة السياسية والعسكرية إلى غزة. وهنا مربط الفرس فيما يجري في رفح مخطط لننسى الضفة والقدس وننشغل بما يجري في القطاع عما جرى ويجري في الضفة.
ثانيا:استكملا لما جرى في الضفة تقوم إسرائيل بممارسة سياسة الأرض المحروقة في غزة ،فمن خلال هدم البيوت وقتل الناس بالعشرات وتهجير الآلاف ،تجعل الحياة شبه مستحيلة ،وهذا يدفع الناس في نظرها للاهتمام بتلبية متطلباتهم المعيشية اليومية على حساب الاهتمام بالقضية الوطنية ،ومن جهة أخرى تجعل من مناطق السلطة مناطق طاردة للمواطنين وليس مناطق جذب ،وللأمر أهميته سواء بالنسبة للخطر الديمغرافي الذي يهددها حيث تسعى إسرائيل لتكون هذه الحياة البئيسة في الضفة وغزة عامل مساعد على الهجرة ،ومن جهة أخرى فأن رداءة الوضع تشكل عامل تنفير لفلسطيني الخارج ليفكروا مليا قبل حزم أمتعتهم للعودة لوطنهم.
ثالثا: تهيئة الظروف الأمنية لتنفيذ خطة شارون للفصل الأحادي عن الفلسطينيين في غزة .قد يكون شارون صادقا في نيته الانسحاب من غزة ،ولكن ليس في نيته الآن السماح بأن تتحول غزة إلى دولة فلسطينية ذات سيادة،وخشيته من ذلك فهو يسعى إلى تدمير كل البنية التحتية في القطاع وخلق منطقة عازلة ما بين القطاع ومصر – محور فيلادلفيا- وتحميل مصر مسؤولية الأمن في هذا المحور ،وبقاء المياه الإقليمية لغزة تحت السيطرة الإسرائيلية بالإضافة بطبيعة الحال إلى تحكمها بالفضاء الإقليمي لغزة.ويدخل في هذا السياق أيضا القضاء على اكبر عدد ممكن من المقاتلين لتهيئة الظروف المناسبة لمن سيتولى السلطة بعد الانسحاب – سلطة فلسطينية أو فلسطينية مصرية-.ومن هنا يمكن تفهم ردود الفعل المصرية الرسمية الباردة عما يجري في القطاع.
رابعا:هناك أهداف ذات طبيعة نفسية ولكنها في نفس الوقت ذات بعد استراتيجي عند شارون،على الجانب الفلسطيني ،يريد أن يبدد الوهم عند الفلسطينيين بأنه انسحب تحت وقع الضربات الفلسطينية ،وخصوصا أن بعض الأصوات الفلسطينية ارتفعت بداية الحديث عن الانسحاب لتتحدث عن نصر فلسطيني ولتشبه الانسحاب من غزة بالانسحاب من جنوب لبنان. وعلى الجانب الإسرائيلي ،يريد شارون تبليغ رسالة للإسرائيليين وخصوصا في اليمين أنه لم ينسحب من موقع ضعف وان الانسحاب من غزة لن يتلوه انسحابات أخرى .
خامسا:يجب عدم استبعاد رغبة شارون تبليغ رسالة للقمة العربية في تونس . فكما جرى في قمة تونس الأولى حيث أستغل شارون الإعداد لهذه القمة ليقوم باغتيال الشيخ ياسين ثم الرنتيسي وكأنه يريد أن يبلغ رسالة لزعماء العرب ان لا يذهبوا بعيدا في قراراتهم ،ويبدو أنه كان للرسالة دور في إفشال القمة الأولى ،ما جرى في رفح حمل نفس الرسالة لقمة تونس الثانية ،وقد فهم الزعماء العرب الرسالة وكانوا عند حسن ظن شارون وأصدروا قرارات لا قيمة لها ،لا تسر الصديق ولا تكيد العدا.**